سيف الدولة بن هود

محاولة للحفاظ على ما بقى من دولة الاسلام فى الاندلس

(٦١٤ - ٦٣٥ هـ - ١٢١٧ - ١٢٣٨ م)

دكتور
محمد أحمد أبو الفضل
استاذ التاريخ الأسلامى
كلية الآداب ... جامعة طنطا

فى الفترة مابين عامى ٦٢٢ هـ - ٦٣٥هـ / ١٢٢٥ - ١٢٣٨ م ، عمت الثورة ضد الموحدين كل قواعد الاندلس تقريبا ، ولم تكن هذه الثورات ظاهرة قاصرة على الاندلس ، بل امتدت إلى المغرب . فبعد هزيمة الموحدين فى العقاب فى صفر ٦٠٩ هـ - يوليو ١٢١٢ م انطلقت الثورات ضد الموحدين وتمثلت فى ثلاث قوى خارجية مهدت للقضاء على سلطان الموحدين ، أولا : عدوان الممالك المسيحية فى ليون وقشتالة وأراجون على ماتبقى من دولة الاسلام فى الاندلس ، وثانيها ، الاندلسيون ، اللذين تطلعوا لتحرير الاندلس من سيطرة الموحدين ، وثالثها ، قبائل بنى حرين التى نازعت الموحدين السيطرة فى المغرب [١] .

ومن بين ثورات الاندلسيين ، كان هناك ثلاث ثورات هامة هى ثورة زيان بن مردنيش فى بلنسية ، ثورة ابن هود فى مرسية ، ثورة ابن الاحمر فى أرجونه . ولقد انتهز هؤلاء الثوار فترة الاضطراب التى مرت بها دولة الموحدين فى اقامة دويلات مستقلة لهم عن النفوذ الموحدى .

ولقد عجل بقيام هذه الثورات وفاة الخليفة المستنصر الموحدى فى ١٣ ذى الحجة سنة ٦٢٠هـ / ٦ يناير ١٢٢٤م دون عقب فلقد تنازع أقاربه سادات الموحدين حول العرش مما أفضى إلى حرب اهلية ، وقام فى الحال بالامر فى مراكش عم ابى المستنصر ، أبومالك عبد الواحد ، حيث نازعه ابن أخيه عبد الله ابومحمد وأعلن نفسه أميرا على مرسيه باسم العادل بالله [٢].

ظل ابو مالك عبد الواحد خليفة على الموحدين بالمغرب حتى خلع فى ١٣ صفر سنة ٦٢١هـ / ٨ سبتمبر ١٢٢٤م ، وخلفه العادل ، بيد أنه لم يستقر فى الخلافة سوى القليل ، ذلك أنه حاول أن يحد من نفوذ ولاة وقضاة وأشياخ الموحدين وأطماعهم ، وأن يقم العدل والنظام ثانية فى تسيير الشئون ، وأن يرد هيبة السلطان كما كانت من قبل ، ولكنه لقى معارضة من كل جانب ، ووقع الانفجار فى الاندلس بادىء ذى بدء ، حيث رفع أقاب العادل من الساده الموحدين وهم محمد صاحب قرطبة ، وأبو على صاحب اشبيلية ، وعبد الرحمن صاحب بلنسيه ، ومحمد والى لبياسه علم الثورة [٣] وتحالف محمد مع الجند القشتاليين الذين نفذوا إلي الاراضى الاسلامية ، ضد من بقى على اخلاصه من جند العادل ، واستطاع فرديناند ملك قشتاله بذلك أن يحتل حصون : بريجو Priego ، ولوشهLogos ، ومرطوسMortos واندوجرAndygar وشلبطره Salvatiera وأن يحصل على ربع مواردها [٤] . وانتهى الامر بوفاة العادل غريقا فى الثانى والعشرين من شوال ٦٢٤

هـ/ ٤اكتوبر ١٢٢٧م بعد حكم دام ثلاثة أعوام وثمانية أشهر وبضيع أيام [٥] . وحدث فى نفس الوقت أن قتل محمد صاحب قرطبة غيلة ، وكان ابو العلا ادريس والى اشبيلية أكثر حظا ، حيث ثار ضد العادل ونصب خليفة فى مراكش واتخذ لقب ادريس الأول المأمون وتفرغ للقضاء على منافسيه فى المغرب [٦] .

فى ظل هذه الظروف خرجت معظم أراضى الاندلس من قبضة الموحدين ، وتمثلت فى حركات سياسية أتسمت بالطابع الشخصى[٧] إلا أنها فى جوهرها حركات قومية شعبية كانت تعتمل فى نفوس أهل الأندلس ، وقدر لها أن تظهر عندما لمست تقاعس سادات الموحدين عن الدفاع عن الاندلس ودرء الخطر المسيحى عنه بموادعة المماليك المسيحية فى اسبانيا بمعاهدات تنازلوا لهم فيها عن كثير من الحصون الاسلامية ، إما تجنبا لمزيد من الهزائم [٨] ، أو تحقيقا لأطماعهم الشخصية التى تستهدف الاستئثار بالسلطان .

وممن حمل لواء هذه الحركة رجل من سلالة بنى هود ملوك سرقسطة أيام الطوائف [٩] هو ابوعبد الله محمد بن يوسف بن هود الجزامى ، وحسب رواية ابن عذارى ، فان التاريخ الحقيقي لظهوره كان فى رجب سنة ٦٢٥ هـ (يونيو -يوليو ١٢٢٨ م [١٠].

فمن هو ابن هود ، الذى ثار ضد الموحدين فى الاندلس ، وكيف انتهت حياته في المرية بعد عشر سنوات ؟

لم يشر ابن عذارى فى بيانه " أنه من سليل بنى هود فى سرقطة ، وإنما قال : " وكان هذا محمد بن يوسف رجلا من أصناف الجند بمرسية وغيرها ، ولكنه كان لأسلافه القدماء تقدم ملك تلك البلاد الشرقية الأندلسية تقلدوا حكمها قديما وأمرها" [١١] .

ويؤكد ابن عذارى ويتابعه المقرى انتسابه إلى قبيلة جذام ، تلك القبيلة التى لعبت دورا فى الحروب الأهلية فى صدر الدولة الأموية بالاندلس ، ويعرف فى المصادر الأسبانية بثافادولا Zafadolg أى سيف الدولة [١٢].

وترجع شهرة ابن هود العسكرية والتى رفعته إلى عداد أعظم الفرسان وأشجعهم إلى مابعد وقيعة العقاب عندما تمكن بفضل قدراته العسكرية ودهائه من الاستيلاء على حصن شنفيرة المنيع Sangero الذى يحدد أويشى ميرانده موقعه فى سان بدرودل بينتارSan Pedso del pintar والذى كان يتحكم فى الطرق المؤدية إلى مرسية عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧م . بمعاونة خمسمائة من أجناد مرسية من أيدى القشتاليين [١٣] . فذاعت شهرته من ذلك الوقت ، وزادت قوته ، ونهض فى أعوانه إلى موضع يعرف بحصن الصخيرات على نهر

شقوره ، ودعا لنفسه بالإمارة عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م فبايعه أنصاره (١٤) . غير أن لاقونتى الكنترا (١٥) الذى تابع لما ستيارو (١٦) وسيكو دى لوثينا (١٧) ، يقولون أن ابن هود دعا لنفسه بالامارة فى اسكارينتس †Escariantesحصن فى البشرات †Alpujarraبين برجا Berja ويوجنجارUgigar ، لكن باقى المؤرخين تابعوا ماورد فى المدونه الأولى العامة لالفونسو العالم التى صنفت بعد أربعين سنة من هذه الحوادث ، وحددت المكان الذى دعا فيه ابن هود لنفسه فى حصن الصخيرات وهو ما يؤكده ابن عذارى فى بيانه (١٨) .

ذاع أمر ابن هود من ذلك الحين وكثر أتباعه ، والتمس فيه أهل الاندلس بطلا للتحرير ، ومنقذا لدولة الاسلام فى الاندلس ، وسارع إلي الانضمام اليه كثير من فرسان الاندلس والمجاد رجالها اذ بعث فيهم روح الأمل لتخليص الاندلس من الفتنة التى واكبت انهيار دولة الموحدين وتسببت فى سقوط كثير من قواعد الأندلس فى أيدى القشتاليين والارغوتيين والبرتغاليين

روى ابن عذارى فى بيانه أن منجما كان يقول لبعض أمراء بنى عبد المؤمن " أن قائما يقوم عليكم بتلك البلاد (الاندلس) يكون من صنف الاجناد واسمه محمد بن يوسف ، فقتلوا بسبب ذلك شخصا بجيان ويسمى بذلك الاسم ، وظنوا امتحاء ذلك الرسم " (١٩) .

لقد تباينت الآراء حول شخصية ابن هود ، ففي حين تصفه المصادر العربية أنه كان فى طبعه ملولا عجولا (٢٠) ، فان المصادر الاسبانية تنعته بقدرته على الحصول على تأييد عامة الشعب الاندلسى ، وهذا التأييد الشعبى هو الذى أقلق المؤرخين العرب الذين رأوا فيه شخص أندلسى وليس عربي (٢١) .

يقول ابن عذارى فى بيانه أن ابن هود كان يحيط نفسه بالمنجمين وقطاعى الطرق ، " فلما كان فى بعض الايام لقبه شخص منجم يدعى ذلك العلم بزعمه ويحكم بما يراه فى نجمه ، وذلك كله بحكم الله سبحانه الذى سبق فى علمه فنظر إليه وقال له : ياأبا عبدالله أنت هو سلطان الاندلس ، فانظر لنفسك وأنج برأسك فانى رأيت فيك علامة الملك وتصييره إليك ، وأنا أدلك على من يقيم لك ملكك وأشير به عليك ، فانهض الآن إلى المقدم الغشتى ومعه يقوم أمرك وحالك وتكون جماعته خدامك ورجالك " (٢٢) . فنهض ابن هود إلى تلك الجماعة ومقدمها الغشتى واتفقوا على الثورة ضد الموحدين وإزالة نفوذهم من معظم ماتبقى من الاندلس ، فأقدم ابن هود وجماعته على مهاجمة مرسية ، ونجح فى انزال هزيمة نكراء بواليها السيد أبى

العباس بنى ابى موسى بن عبد المؤمن [٢٣] . ولما علم والى بلنسيه السيد ابوزيد بأمر ابن هود خرج اليه فى قواته فأوقع ابن هود به الهزيمة ، واستولى على محلته ، ثم عاد إلى مرسية ودخلها ، وأسند ولايتها إلى عزيز بن عبد الملك بن محمد بن خطاب ، وبويع لابن هود فى غرة شهر رمضان عام ٦٢٥هـ / أغسطس ١٢٢٨م ، وتسمى بأمير المسلمين ومعز الدين وتلقب بالمتوكل على الله ، ودعا للخليفة العباسى المستنصر فى أول جمعة له فى مرسية ، وبعث إليه بكتبه فجاوبه بالخلع والمراسيم وسماه مجاهد الدين سيف أمير المؤمنين ، عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين ، وهكذا كان يكتب عن ابن هود فى أول كتبه علامة " توكلت على الله الواحد القهار " [٢٤] .

ولما وصلت أخبار حركة ابن هود إلى السيد أبى العلا ادريس باشبيليه وهو على وشك الرحيل إلى المغرب ، ووقف على خبر هزيمة الموحدين وضياع مرسية ، وصريخ السيد أبى زيد والى بلنسيه فى طلب النجده ، عدل عن الذهاب إلى مراكش مؤقتا مؤثرا القضاء على حركة ابن هود [٢٥] ، فخرج بقوات من اشبلية نحو مرسيه ، وهناك التقى مع ابن هود فى معركة على مقربة منها هُزم فيها ابن هود أشنع هزيمه ، وارتد على أثرها إلى مرسية وتحصن داخل أسوارها ، فحاصره السيد أبوالعلا إدريس مدة فامتنعت عليه ، فأقلع عنها ، ربما لأن الأوضاع فى الحاضرة الموحدية بمراكش منذ قيام يحيى الناصر الملقب بالمعتصم وتقلده الخلافة بها كانت من أقوى الاسباب التى جعلت السيد أبوالعلا إدريس يقرر رفع الحصار عن مرسيه والعودة فجأة إلى أشبيلية ليعبر منها إلى مراكش عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م [٢٦] .

وفى الجزيرة الخضراء وصلت ابو العلا ادريس الأخبار بمبايعة شيوخ الموحدين يحيى بن الناصر ونكثهم بعهدهم معه ، فجمع نحو خمسمائة فارس من الروم ودخل مراكش ، وهزم يحيى بن الناصر ، وأزال اسم المهدى من الخطبة فى جميع بلاده ، ومحا اسمه من المخاطبات ، ومن النقش على السكة ، وقطع النداء بعد الصلاة والنداء عليها بتاصليت الاسلام ، وهى اقامة الصلاة باللسان البربى [٢٧] . ولكى يدعم مركزه تلقى مساعدة من ملك قشتاليه [٢٨] .

ومما لاشك فيه أن رفع السيد أبوالعلا ادريس الحصار عن مرسيه قبل القضاء على حركة ابن هود قد ساعد كثيرا فى تألق نجم ابن هود وإمتداد سلطانه على أغلب قواعد الاندلس ، اذ سرعان ماقوى أمره وذاع ذكره ، فاعترف ابن الرميم بطاعته فى المريه [٢٩] ، وبسط سيطرته على شاطبة ودانية وجزيرة شقر ، وأعلنت غرناطة وجيان ومالقة وقرطبه ومارده وبطليوس

دخلوها فى طاعته . بل ان اشبيلية التى كانت حاضرة الموحدين فى الاندلس لم تلبث هى الاخرى أن حذت حذو هذه المدن ، فبعد أن غادرها السيد أبوالعلا إدريس مبحرا إلى أرض المغرب حتى اجتمع أهلها فى اليوم الثانى من عيد الأضحى ١١ ذى الحجة عام ٦٢٦ هـ (٣١ اكتوبر ١٢٢٩ م) بموضع يعرف بالنخيل ، وأعلنوا خلع طاعة الدولة الموحدية ، والاعتراف بطاعة ابن هود فى ظل الخلافة العباسية ، وكتب عنهم ابوبكر بن البناء إلى ابن هود كتابا يعلمه بذلك ، وأجابهم باسم ابن هود أخوه أبوالحسن عضد الدولة بتاريخ ١٧ من ذى الحجة ٦٢٦ هـ / ٦ نوفمبر ١٢٢٩ م مهنئا عل اجتماعهم على الطاعة ودخولهم فى حزب الجماعة ، وعلى قيامهم بالدعوة العباسية ، فأرسل ابن هود اليهم واليا من قبله أخوه أبو النجا سالم عماد الدولة (٣٠) ، كما قلد الغشتى قائدا للأساطيل بها والنظر فى أحوالها (٣١) .

فى هذه الأثناء ظهر منافس جديد لابن هود علي الزعامة فى الاندلس ،لاسيما أن هذا المنافس الجديد ينتمى إلى أسرة عريقة لها فى نفوس أهل شرق الاندلس ذكريات حبيبه ، وحظيت زعامته بتأييد عامة أهل بلنسيه ونواحيها ، هذا المنافس هو أبوجميل زيان ابي الحملات مدافع بن أبى الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش من أعقاب أسرة بنى مرونيش ، التى استقر أعقابها بعد وفاة محمد بن سعد فى بلنسية ، وكان إلى جانبه ببلنسيه وأحوازها عشرة من رؤساء بيته من الأخوة أو أبناء العمومة تقلدوا الرياسة فى شرق الأندلس فى أخريات الدولة الموحدية(٣٢) . فلما هبت ريح الثورة فى الاندلس على الموحدين والنصارى فى آن واحد خاض الفتنة مع الخائضين (٣٣). وكان أبوجميل - عميد هذه الأسرة المردنيشية - يشغل فى ولاية أبى زيد عبد الرحمن بن زيى عبد الله محمد بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن منصبا رفيعا ، إذ كان كبير بطانته وصاحب أمره ، فما انهزم السيد أبوزيد على يد ابن هود وتحصن فى بلنسية بعد تقاعس أبو العلا إدريس صاحب اشبيلية عن نجدته اضطرمت الثورة فى نفوس أهل بلنسية والتفوا حول ابوجميل زيان بن مردنيش ونادوا برياسته فوقعت الوحشة بينه وبين السيد أبى زيد واضطر إلى الخروج من بلنسية وامتنع بحصن أنده (On da) الذى لايبعد كثيرا عن بلنسيه ، واشتد هياج جماهير بلنسيه بعد خروج رئيسهم عنها ، كما اشتد سخطهم على واليهم الموحدى ، فخاف السيد ابوزيد على نفسه وآثر أن يرحل منها هو وأهله وولده (٣٤). فعاد أبوجميل زيان بن مردنيش إلي بلنسيه ودخلها فى السادس والعشرين من شهر صفر عام ٦٢٦ هـ/ يناير ١٢٢٩ م ، وأخذ البيعة لنفسه فى أول ربيع الأول السنة المؤرخة وأمر بالخطبة للخليفة العباسى المستنصر وبايعته مدينة دانية ، واستولى فى رجب من السنة المؤرخة على قرنبيره ، كما بايعته جنجاله

فامتد ملكه وعظمت سطوته (٣٥) .

لم يرض ابن هود بظهور هذا المنافس الجديد له على الزعامة فى الاندلس ، فحاول ابن هود تجنب الصدام الوشيك بينه وبين ابى جميل زيان صاحب بلنسيه فبعث يدعو الى الدخول فى طاعته وأن يحذو حذو أبناء عمومته فى دانيه وجزيرة شقر بهدف توحيد الصف وتدارك الآثار البعيدة المترتبة على هذه الفتنة التى قد تعرض الاسلام فى الاندلس إلى خطر محتوم ، كذلك وجه الفقيه أبوبكر عزيز بن خطاب ، عميد علماء بلنسيه ، رسالة إلى صنوه الخطيب أبى عبد الله بن قاسم ببلنسيه يحثه فيها على مخاطبة أبى جميل زيان للدخول فى طاعة أمير المسلمين ابن هود تفاديا لوقوع عواقب خطيرة (٣٦) . لكن أباجميل زيان لم يستجب لدعوة ابن هود فيدخل فى طاعته ، الأمر الذى حمل ابن هود على أن يزحف فى قواته إلى بلنسيه لاخضاعها لسلطانه فخرج أبوجميل زيان للاقاته خارجها فوقعت عليه الهزيمة ، واضطر إلى الانسحاب إلى بلنسيه والتحصن بداخل أسوارها ، فتبعه ابن هود فى قواته حتى أسوار بلنسية وضرب عليها الحصار (٣٧) .

فى هذه الاثناء استغل ألفونسو التاسع ملك ليون نشوب الحرب الاهلية بين ابن هود وأبى جميل زيان لتحقيق أعز أمانيه وهى السيطرة على كل منطقة الغرب بقواعدها الرئيسية بطليوس ومارده ثم اشبيلية ، ففي أواخر عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م سار جنوبا فى اتجاه وادى بانه ، واستولت احدى فرقه على اخوان شتت ياقب (Los Freiers de Santiago) على حصن منتانجش (Montanchez)، الواقع الى الشمال من مارده ، ثم زحف بقواته بعد ذلك صوب مارده وأحكم حولها الحصار ، فلما بلغ ابن هود نبأ تضييق ألفونسو الحصار حول مارده رفع الحصار عن بنلسيه وأسرع فى حشد قواته وتوجه لانقاذ مارده ، ونشبت بين قواته وقوات ألفونسو معركة عنيفة عند حصن الحنش Alanje أنتهت بهزيمة ابن هود وانسحابه إلى اشبيلية ، وعندئذ دخلت قوات ألفونسو مدينة مارده (٣٨) .

وعلي الرغم من امتداح المصادر العربية لموقف ابن هود فى مبادرته لانقاذ مارده من حصار الليونيين إلا أن ابن عذارى يوجه إليه مسئولية سقوطها ، فيقول : " وكان (أى ابن هود) من طبعه ملولا عجولا ، وكانت هذه الغزوة أول غزواته وأضخمها فلم ينصر فيها " (٣٩) .

واصل الليونيون زحفهم بعد استيلائهم على مارده فحاصروا بطليوس وهى احدى الحصون المنيعة ، فلم تلبث أن سقطت بدورها فى عام ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠م (٤٠)

لم يستطع ابن هود وقف زحف قوات المملكة النصرانية ، الذين تمكنوا فى هذه الفترة من احتلال مدنا أندلسية هامة ، وربما يرجع ذلك الى ضعف موارده ، فلم يرض ابن هود البحث عن وسائل تساعده فى تحصيل جباياته والتدخل فى شئون المدن كما كان يفعل الموحدون من قبل ، وربما أيضا يرجع لافتقاده الكياسة الدبلوماسية ، أو لأنه كان يطمع فى اقامة دولة أندلسية مستقلة دون حماية أجنبيه (٤١) .

علي أية حال ، فان ابن هود بعد أن استقامت أحواله " ولي العهد لابنه أبى بكر ولقبه بالواثق بالله ، فوفدت عليه البيعات من كل البلاد من جزيرة شقر الى الجزيرة الخضراء مؤرخة بعام ٦٢٩ هـ " (٤٢) .

وفي نفس العام (٦٢٩هـ / ١٢٣١ م) كان وصول إرسال الخليفة العباسى المستنصر بالله من بغداد إلى بن هود المتوكل على الله ، وكتب له كتابا يأمره فيه " بإقامة الدين والاجتهاد فى أمور الجهاد وسماه مجاهد الدين سيف أمير المؤمنيين ... وقرىء كتاب أمير المؤمنين العباسى إلى الندلس لابن هود بمصلى غرناطه القديم ، كانت الراية السوداء بازاء المنبر وابن هود قائم وزيه السواد " (٤٣) .

وفى هذا العام قام العامة من أهل أشبيلية على ابن هود الذين كانوا قد ثاروا ضد الموحدين منذ عامين فقط وبايعوا ابن هود فأخرجوا والى المدينة عماد الدولة ابى النجا سالم بن هود وانظارها من قبل أخيه المتوكل على الله بن هود من اشبيلية ، وبقى أمرهم شورى بينهم يرجعون فيه لأمر القاضى الباجى ورأيه ، وكانوا أرادوا مبايعته فامتنع لهم إلي أن وصلته بيعة قرمونه عام ٦٣٠هـ / فقبلها ، وحينئذ مد يده إلى مبايعة أهل اشبيلية فبايعوه وبقى أميرهم بها إلى أن قتل على يد ابن الأحمر عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥ م (٤٤) .

ترتب على اخفاق ابن هود فى ضم بلنسيه ، وفشله فى استنفاذ ماردة وبطليوس وتركه قرطبه قاعدة الاندلس ، كل ذلك افقده شعبيته التى كانت سر شهرته ، وأفسح المجال لظهور زعيم اندلسى جديد وضع فيه أهل الاندلس مناط أملهم بعد أن خيبه ابن هود ، ذلك هو ابن الاحمر الذى دعا لنفسه بادىء ذى بدء فى أرجونه (Argona) . موطن أسرته وماوالدها من نواحى في عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م .

وابن الأحمر هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس من أسرة بنى الأحمر المعروفين ببنى نصر سادة حصن أرجونه من أعمال جيان ، تلقب بالغالب بالله ، اشتهر أبيه بالأحمر " فاستعمله فى كل شىء وعليه فى الشهرة والعلامة اقتصر ، ركب عليه وكتب فيه

وتزيا به فى اللباس كتزي ابن هود بالسواد لقيامه بدعوة بنى العباس " [٤٥] . يصفه ابن عذارى بأنه " كان بطلا شجاعا ، فأورثه ذلك سموا وارتفاعاً [٤٦] . وبعد أن دعى لنفسه فى ارجونه مستندا فيها على الدعاء للأمير أبى زكريا الحفصى صاحب افريقية وتلقى منه بعض العون ، عاد فدعا للخليفة العباسى المستنصر بالله [٤٧] .

وفى العام التالى ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) دخل محمد بن نصر مدينة جيان وبويع له فيها ، وذلك بمعـــاونة أبى مروان بن الملك بنى يوسف بن صناديد أحد رؤساء جيان [٤٨] ، كما بايعته مدينة شرين[٤٩]، ولم تلبث أن أطاعتـــه كل من قرطبـــة وقرمونة اللتين نبذتا دعـــوة ابن هود [٥٠] . ثم تطلع محمد بن نصر إلى مد نفوذه على أشبيلية فتصاهر مع قاضيها أبى مروان أحمد بن محمد الباجى على ابنته وتحالف معه على نبذ الطاعة لابن هود ، ولم يلبث الباجى أن ثار على ابن هود وأخرج واليها عماد الدولة أبا النجا سالم منها ، فقدم إلى اشبيلية ونازلها وتملكها ،.وكان ذلك فى أخريات ربيع الأول عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م[٥١]، ودامت سيطرة ابن الأحمر عليها نحو شهر [٥٢] ، ثم تطلع الى الغدر بصهره الباجى فثار عليه أهل اشبيلية وعادوا للدعاء لابن هود ، وكان قد استولى على قرطبة فى شهر رجب عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م [٥٣] .

ثم رأى ابن الأحمر أن عداءه لابن هود قد يبعثر قوى الاسلام ويدعم قوى النصرانية ، وغلب عليه احساسه الدينى ولم يأنف أن يضع يده فى يد خصمه لصالح الاسلام ، ولعله كان يهدف من ذلك أن يكسب دعما أدبيا فى نظر أهل الأندلس لاسيما بعد أن وصل العهد الخلافى من بغداد لابن هود ، الذى اعتبره دعما سياسيا له فى الاندلس . وهكذا جنح ابن الاحمر الى الصلح على ان يعترف بطاعته ابن هود مقابل أن يقره هذا على جيان وأرجوانه وأحوازها وبركونه ، وثم عقد الصلح بينهما فى شوال ٦٣١هـ / يونيه ١٢٣٤م [٥٤] .

وعندما تعرضت قرطبة للغزو القشتالى فى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م بعث أهلها على الفور يستنجدون بابن هود فى مرسيه ، فخرج الى نجدتها فى جيش كثيف ، على أنه ماكاد يصلها حتى بلغته رسالة من أبى جميل زيان صاحب بلنسيه يطلب منه أن يأتى لانجاده من غزوة ملك أرغون ، فآثر ابن هود أن يتوجه إلى بلنسية تاركا قرطبة لمصيرها التعس ، وسار فى قواته إلى مرسيه سالكا الطريق المار باستجه ثم اتجه إلي ثغر المرية [٥٥] ، وهنا تختلف الرواية المسيحية والاسلامية حول دوافع قصرها :

فالمدونة الأولى العامه ، تقول أن ابن هود توجه إلى المرية بقصد الابحار منها فى قوات لانجاد بلنسيه ، اذ أن واليها أباجميل زيان قد بعث يستغيث بابن هو وهو فى استجه ، فاستجاب لندائه لرغبته فى امتلاك بلنسيه ودخولها فى طاعته (٥٦) .

فى حين يرى جاسبار ريميرو أن ذهاب ابن هود الى المرية كان للعمل على توطيد سلطانه فى المنطقة الجنوبية واحلال السلام فيها (٥٧) .

أما الرواية الاسلامية فتعطى لنا سببا آخر لذهاب ابن هود الى المرية فترجعه الى وازع شخصى ، وتسوق فى ذلك رواية ملخصها أن ابن هود كان قد استودع واليه على ثغر المرية ويدعى عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى يحيى الرمتمر جارية نصرانية لكى يلم بها عندما يريد ، وأخذها ابى الترميمى ، وعندما دخل ابن هود قصره قتله الرميمى خنقا ، وأعلن وفاة ابن هود فى ٢٤ جمادى الأولى عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م (٥٨) . ويعلل ابن عذاري أسباب مصرعه بأنه على شجاعته وحسن نيته سيء الحظ فى رجاله لم يخلص له أحد منهم (٥٩) . وهكذا مات ذلك الرجل قبل أن يحقق حلمه فى الحفاظ على مابقى للمسلمين فى الأندلس فى دولة أندلسية مستقلة .

الهوامش و المراجع

(١) Suarez Fernandez: Historia de Espana ,FoladMedia,1970,p.271

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب القسم الثالث ، تحقيق امبروس هويشى ميرانده ومحمد بن ثاويت ومحمد ابراهيم الكتانى ، تطوان ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٢ .

(٤) يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، الجزء الثانى ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ١٥٦ ،

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٦) ابن عذاري : نفس المصدر ، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٧) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ، القسم الثانى ، عصر الموحدين ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٥٤ .

(٨) أنظر : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، المؤسسة العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٨٣١ .

(٩) ابن خلدون : تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الرابع ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٩ ، ص ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وراجع أيضا : ابن الخطيب : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من سلوك الاسلام . الجزء الخاص بتاريخ اسبانيا ، نشر الاستاذ ليفى بروفنساك ، بيروت - ١٩٥٦ ، ص ص ٢٧٧ ، ٢٧٨.

(١٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(١١) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٥٦ .

(١٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٢٥٢ - ٢٥٥ وأنظر أيضا

E. Teres : Linajes arakes en Al .Andalus Segun " Jamhaa : de Tlon Houzm,En Andalus,xx11,1957,P.351.

(١٣) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، نتجة من كتاب الروض المعطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة،١٩٣١ ، ص ١١٦من النص العربى ، ص ١٤٢من الترجمة الفرنسية

(١٤) الحميرى نفس المصدر ، ص ١١٨.

(١٥) M.Lafuente Alcantara,Historia de Granada,II,1943p.12

(١٦) J . Ma Casciaro , Diccionario de Historia de Espana.I1952,P.1377

(١٧) †Seco de Lucina , sintesis y glosario de la hislova de Grana de,1916,P.100.

(١٨) ابن عذارى : المصدر السابق ص ٢٥٧ .

(١٩) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٥٦ .

(٢٠) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٧٠ . وانظر أيضا :

R. Gil Benumey, Andalucismo africano.1935 P.45

(٢١) I.D.E las Cagigas: Los Mudejares, 1948, PP. 347-348.

(٢٢) فى ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(٢٣) ابن عذارى : نفس المصدر ،ص٢٥٧، وانظر أيضا: ابن خلدون ، المصدرالسابق ، ج٤ ، ص ٣٦٢.

(٢٤) ابن عذارى : نفس المصدر ،ص ٢٥٧، ابن خلدون : نفس المصدر، ج٤، ص ٣٦٢، وانظر أيضا: السيد عبد العزيز سالم : مدينه مرسيه ، موطن الشيخ الزاهد العارف بالله القطب الأكبر زبو العباس المرسى ، فصله من مطبوعات جمعية الآثار بالأسكندرية ، ١٩٦٩ ، ص ١٧.

(٢٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٢٦) الحميرى : نفس المصدر ، ص ١٢٠ .

(٢٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٢٨) Huici Miranda : Historia musulmana de valencia Y su region, ralencia, III, 1970,PP. 247,243.

(٢٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٦٩ ، ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ، تحقيق كارل يوخى تورنبرنج ، أبساله ، ١٨٤٣ ، ص ١٨٢ .

(٣٠) ابن عذارى :نفس المصدر، ص ٢٧٠، ص ٢٧٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٦٣ .

(٣١) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٥٧ .

(٣٢)محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .

(٣٣) نفس المرجع والصفحة .

(٣٤) Gaspar Remiro : Historia de Mureia musulmana, Zaragoj , 1905,P. 276, Huici Miranda : Ob. cit, III, P. 280 .

(٣٥) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الاندلسى ، ص ٢٧٢ .

(٣٦) انظر ، نص الرسالة فى زواهر الفكر وجواهر الفقر لمحمد بن على بن عبد الرحمن المكنى بابن المرابط ، مخطوط الاسكوريال رقم ٥١٨ ، الغزيرى (ديرنبور٥٢٠)، لوحات ١٦٧ ، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠ .

(٣٧) ابن خلدون : المصدر السابق والجز ء، ص ٣٦٣،

Huici Miranda : Ob. cit, T.II , P. 478.

(٣٨) Huici Miranda : Ob. cit, T.II , P. 478 .

(٣٩) البيان المغرب ، ص ٢٧٠ ، وراجع أيضا : ابن الخطيب : الاحاطه فى أخبار غرناطه ج٢ ، تحقيق محمد بن الله عنان ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٨٠ ، ابن خلدون : المصدرر السابق ، ج٤ ، ص٣٦٤ ، Gaspar Remiro : Ob. cit, P. 277

(٤٠) Gaspar Remiro : I bid

(٤١) Tapia Garrido(J.A.) Admerier musulmana,T. II, Editorial Cajal, Almeria, 1986, P. 33.

(٤٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢٧٨ .

(٤٣) نفس المصدر ، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٤٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٤٥) البيان المغرب : ص ٢٧٩ .

(٤٦) نفس المصدر والصفحه .

(٤٧) أنظر : ابن عذارى : نفس المصر والصفحه ، ابن أبى زرع : المصدر السابق ص١٨٢ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، ج٢ ، تحقيق د. شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ، ص١٠٨ .

(٤٨) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٧٩ ، ابن الخطيب : الاحاطه فى أخبار غرناطه ج٢ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٩٦ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٦٦ .

(٤٩) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٧٩ ، ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحه .

(٥٠) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٧٩ .

(٥١) ابن الخطيب : بالحاطه ، ج٢ ، ص ٩٤ .

(٥٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٦٤ .

(٥٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ - ٣٣٥ .

(٥٤) Primisa Croniea General , P. 433 .

(٥٥) Gaspar Remiro : Ob. cit, P. 286

(٥٦) أنظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ ، ابن سعيد المغربى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٩٩ ، ص ٢٥٢ ، المغربى : نفح الطيب ، ج٦ ، تحقيق محى الدين ابن الحميد : الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، ١٩٤٩ ، ص ٨٩ .

(٥٧) فى ، البيان المغرب ، ص ٣٣٦ .